من كتاب: إلى عباس أبو صالح. مشاعر معبّرة، بيروت 2013، ص 63-64.

عباس أبو صالح: مثال الأكاديمي والباحث المتألق

عبد الرؤوف سنّو

قد تتحول زمالة العمل بين شخصين، في كثير من الأحيان، إلى صداقة، وهذا يتوقف على رغبة متبادلة من الجانبين، وربما على كيمياء الاستلطاف والانسجام التي تقرب بينهما. عباس أبو صالح لم يكن مجرد زميل وأستاذ جامعي التقيت به خلال عملي في الجامعة اللبنانية، أو في مؤتمرات علمية. فقد تحول من زميل إلى صديق لعدة أسباب: شخصيته الودودة، والابتسامة التي كانت لا تفارق وجهه، ونكته الحاضرة على الدوام، والصدق في التعامل مع الآخرين، ورصانته الأكاديمية، فضلاً عن حقل التاريخ الحديث والمعاصر الذي جمعنا.

أتذكر يوم زارني مع السيدة الفاصلة زوجته ليلقي علي سلام الوداع، بسبب حصوله على عمل في جامعة في الخليج. أحسست بالحسرة يومها على فراقه. أخبرني، وقد جلسنا على شرفة منزلي، أنه لا يزال أمامه شوط طويل، من تربية أولاده، وتأمين تعليم جيد لهم، ما يضطره إلى ترك لبنان. لقد احترمت قراره هذا، لكني أسفت على ظروف تدفع الإنسان إلى الهجرة ويحرم أبناء وطنه من علمه ومعارفه، من أجل لقمة عيش كريمة يؤمنها للذين يحبهم.

لقد انغمس عباس أبو صالح في التعليم في الجامعة اللبنانية وفي الجامعة الأميركية وفي جامعات الخليج، فكان مثال الأكاديمي الناجح والباحث المتألق. عرفته جيداً من خلال أبحاثه ومنشوراته. فكان من خلال مؤلفاته الموجودة في مكتبي الخاصة، يعيش معي لحظة بلحظة، وبخاصة أني جعلت من كتابه حول الأزمة اللبنانية في العام 1958 مرجعاً دائماً لي. وقد شكل هذا المؤلَف أهمية قصوى بالنسبة إليّ، لاعتماده على الوثائق الأميركية والبريطانية، ووصوله إلى استنتاجات علمية مهمة حول ما حصل في العام 1958. ومؤخراً، تبحرت في كتابه عن المرحلة الشهابية، فكان عوناً لي في إعداد كتابي عن "لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف".

إنها خسارة كبيرة أن يفقد المرء زميلاً وصديقاً وباحثاً ملماً، ولا تزال دعواته لي ولزملاء آخرين إلى أمسيات في الجبل عالقة في ذاكرتي. وربما تساعد تلك

الذكريات على تلطيف بُعد الفراق القاسي. إنها مشيئة الله بالطبع، ومن ترك أثراً طيباً ونتاجاً علمياً رصيناً، لا يموت أبداً، ولا يغادر محبيه. عباس أبو صالح: لا أقول فراقاً، بل لقاءً ولو بعد حين.